

السنا بلُ الخُضر واليابسات بين رُسُل ووشي قراءة تأملية في تجربة الشاعر علي النمر

لكل شاعر قاموسه الخاص الذي يتميز به وشاعريته التي تمثل البصمة التي ينفرد بها ومع تفاقم الثقافة والاستغراق في المطالعة وقراءة النتاج باستمرار تتطور التجربة وتضرب جذورها في أعماق الذائقة عبر الخوض في الأبعاد الحياتية المتنوعة

ومن خلال قراءة ديواني (رُسُل) و (وشي) للشاعر علي النمر حاولتُ جاهداً أن استكشف المحور الذي من خلاله ينفذ لقلوب القراء فإذا بأغلب القصائد تتحدّث في علاقتها بالأرض من حيث تنفس الورود والاحتفاء بالحقول واحتضان النخيل ومسامرة البساتين وجريان الأنهار ورائحة الرماد ومن ناحية أخرى الارتباط بالطبيعة من خلال هبوب الرياح ومداعبة النسيم والانتماء لأمومة الشمس وتسريح الأقمار. وما أنوي أن أتناوله في الورقة جزء للدلالة على الكل وهي محورية السنا بل في الديوانين بما ترمز له من دلالات متنوعة من خضرها ويا بسها وتسليط الضوء عليها لهيمنتها على تجربة الشاعر ونفسيته يقول محمد مندور عن الروح الداخلية للشعر بأنها ((صياغة فنية لتجربة بشرية))

ومن خلال تتبعي لتجربة النمر المتمثلة في السنا بل على وجه الخصوص أرى أنه صاغ دلالاتها المرتبطة بالجوانب الحياتية التي تمس المجتمع بطريقة فنية ولست بصدد ذكر جميع القصائد التي تمثل ثنائيات التضاد كمقابلة بين الديوانين (رسل) و (وشي) ولكنني سأكتفي بذكر مثال واحد وهي السنا بل فقط لأنه ما يهمننا هنا،

في ديوانه الأول (رسل) تناول الشاعر السنا بل في قصيدة (روح السنا بل) بكونها قوس صعود، وفي ديوانه الثاني (وشي) تناولها كقوس نزول في قصيدة (سنا بل يابسات) وهذا ما سيتضح لنا عند التأمل فيهما.

ذكر الشاعر علي النمر السنا بل في سبعة قصائد في كل قصيدة ترمز لدلالة مختلفة عن أختها في شتى الجوانب الحياتية من التفتح حتى الذبول وتكرار ثيمة السنا بل علامة على ترسّخ رمز جوهري في رؤيته الشعرية.

وهذا ما سيتضح خلال تناول القصائد ككل ففي ديوان (رُسُل) تم تناول أربع قصائد وهي كالتالي:

الأولى: روح السنا بل وهي تعبر عن البُعد النصالي في مقطع منها وفي مقطع آخر تعبر عن البُعد الإنساني

الثانية: عاديّات العيون وهي تعبر عن البعد العاطفي المظلم

الثالثة: هجرةٌ في عهدةِ الخلود وهي تعبر عن البُعد الروحي

الرابعة: كسرة خُلد وهي تعبر عن البُعد الديني

أما في ديوان (وشي) فقد تم تناول ثلاث قصائد تحمل أبعاد مختلفة وهي كالتالي:

الأولى: سنا بل يا بسة وهي تعبر عن البُعد الفلسفي

الثانية: انسجام وهي تعبر عن البعد الصوفي

الثالثة: نسيم وهي تعبر عن البُعد العاطفي المُشرق

ولأن الشاعر حرص كل الحرص على إخضاع سنا بله للإختبار من خلال تسليط الريح عليها صرخ من عمق ذاته في وجه الطبيعة قائلاً (الريح تختبر السنا بل) ونجد في هذه الصورة الشعرية المكثفة انزياحاً دلاليّاً يتمثل في كشف معدن الإنسان بالاختبار كما تكشف الريح حقيقة السنا بل من حيث القوة الحقيقية والضعف المخفي

القصيدة الأولى: روح السنا بل (ديوان رسل)

وهي عبارة عن قوس الصعود الذي يمثل العمق الإنساني في أقصى تجلياته وهي في مجملها تتحدث عن الكرم الإلهي المتمثل في شخصية الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) الذي مثّل بصلحه أثناء إمامته السنا بل اليابسات التي مهدت لثورة الإمام الحسين عليه السلام فمثّل بهذا التمهيد للسنا بل الخضر التي أتت أوكُلُها وهو يتناول في هذا المقطع بُعد النضال والثورة :

أنت الكفافُ ، فهب لسنبِلنا يدا

شِماء تحصد ما بذرت طموحا

من قبل سبع يابسات ربما

يأكلن سبعا فالحصاد أياحا

يامن تعاهد كل حبة «حنطة»

حتى تكون عطاءه الممنوحا
أنت الذي رغم انحسار حقولنا
قد كنت تزرع حقلك المجروحا
قد كان صبحك يستفيق لكي نرى
حقلا إلهي الدروب مريحا
فترى الحواريين أرغفة هنا
وترى عذابك في النضال (مسيحا)
قد كنت تُطعم كل سنبله هنا
لتغيظَ في (طفّ) هنالك ريحا

في مقطع آخر من القصيدة تتناول البُعدَ الإنساني الذي فيه يتجرد المرء من أنايته ليغمر المجتمع
بهباته وعطاياه

اكتب على حقل الجياع شروحا
وانفخ بمن قصد الحقيقة روحا
القمح يا روح السنا بل موعدا
ما زال ينمو في يديك صريحا
والحقل رزقنا يوشك أن يُرى
عبر امتداد الأمنيات فسيحا

القصيدة الثانية : سنا بل يا بسة (ديوان وشي)

وهي تمثل في مجملها البُعدَ الفلسفي الذي يتناول القضايا بعمق يتجاوز فيها الظواهر السطحية
وهي عبارة عن قوس النزول المتمثل بمرارة عدم الإنصاف وضياع الجهد وتحكم العشوائية

....

من وجهة الوقت كان العمرُ حارسنا
وكُلُّنا في حقول العمرِ نمتدُّ
محمّلونَ على أرواحنا دِعةً
ولو نُصارُ إلى أوهامنا .. نعدو
سنا بلُ يَدِ سَتَّها الأمنياتُ وما
زالت تُكافِحُ كي يختارَها الذِّرْدُ
وفي مواسمها الأحلامُ عابثةُ

فلا يكادُ يَـبِينُ الهَزَلُ والجَدُّ

القصيدة الثالثة: انسجام (ديوان وشي)

وهي تتناول البُعدَ الصوفي حيث ترمز إلى اكتمال النفس ونضوجها

بيني وبين الضوءِ أن نتفسَّـما

سأكونُ سُنْبِلَةً وَيُصْبِحُ بِرْعُـما

فأشُدُّ من عُنُقِ الضياءِ قصائدًا

ويَشُقُّ في جبلِ المعاني مَنجَـما

القصيدة الرابعة: نسيم (ديوان وشي)

وهي تمثل البعدَ العاطفي المشرق الذي يمتاز بالمشاعر والإنفعالات والانشراح والطمأنينة وبواعت الأمل

أضيئي على سُنْبِلاتِ الجمالِ

بياضاً يَطْلِلُ كما تشتهين°

فإن كان شيءٌ يُقالُ هنا

فذاكَ جمالُكُ والياسمين

القصيدة الخامسة: عاديّات العيون

(ديوان رسل)

وهي تمثل البعد العاطفي المُظلم

الذي يحتوي الخذلان والذبول والإنطفاء

وهنا دعاء السيدة الزهراء عليها السلام للجار قبل الدار في تعقيب صلاتها لم يُقابل بالمثل بل تعدى

ذلك إلى النكران

لم تحافظ على حق الجيرة، ولم تبادل المعروف بالمعروف

يا جارها

ما رعيت الدار ، كم سهرت

ليلا / بكاء / دعاء

مازج النوحا

الجار

وجه دعاء الدار ، منعقد في حضرة □

روحا كان أم رَوحا

أين انطويت ؟!

أما كانت بجيرتها طريبا

ألم ينشرح صدر بها شرحا؟

ضاع الدعاء

فهل مازلت سنبلة

رغم انقطاع رواء تنتج القمحا؟!

القصيدۃ السادسة: هجرةٌ في عهدۃِ الخلود (ديوان رسل)

وهي تندرج تحت البعد الروحي المرتبط بالعلاقة الروحية الممتدة بين الشاعر والإمام علي عليه السلام كشخصية مقدسة يُحتذى بها ويلتمس منها البركة سواء في الحقيقة أو المجاز على المستوى المكاني من ناحية كاستدعاء الرملة التي توحى بالهيام المتحصل من أثر المسير ومن ناحية أخرى على المستوى الزماني كاستدعاء غبار الوقت الذي يوحى بالانجذاب الروحي الهائل للإمام علي رغم الفاصل الزمني الممتد

.....

يا قاطعَ البیداءِ:

هَبْنِي رَمْلَةً

عَلَّاقَتٌ بِثَوْبِكَ بِالْهِيَامِ مُحَمَّـلَةٌ

هَبْنِي

غُبَارَ الْوَقْتِ

يَرْسِمُ حُبَّكَ الْجَذَّابَ

فِي أُفُقِ الْمَسِيرَةِ سُنْبِلَةً

القصيدۃ السابعة: كسرة خلد (ديوان رسل)

وهنا تمثل البُعد الديني المرتبط بالذوبان في رضا الخالق بإكرام خلقه لل على المستوى الإنساني فحسب بل يتعدى ذلك إلى الحب الذي يُطحنُ بكل البتول عليها السلام وهو مصداق للسنا بل المرجوة لسنوات الخصب والعطاء

اطرق..

فقد يغدو ليُتميكَ والدٌ في (هل أتى)

بالذاكرين تصورا

فأَنَسْ..

فكل الكون حولك زاخرٌ بالمشبعاتِ

فخذ لجوعكَ بيدرا

من قال إن الحَبَّ يُولِّمُ طحنَهُ

إن كان كفٌ للبتولةِ دوَّرا

ولكسرةِ الخبز الملامِسِ كفَّها

طعمَ الخلودِ ونكهةُ لا تُشترى

وتدير ذاتَ الكفِّ

حُبًّا في الرحي

يهوى بتلك الكفِّ أن يَتَكسَّرَا

فيبثُّ أرغفةً

ويَعَجِّنُ باسمًا

فيكونُ بُرًّا أو يكونُ مُخَمَّرَا

ختاماً

ومن خلال هذا التتبع التأملي تتجلى السنايل لا كصورة عابرة بل كرمز محوري يتكرر ويتجدد، ليحمل دلالات متشعبة بين النصح والذبول، بين العطاء والانطفاء، بين التماهي مع قضايا الأمة والانصهار في الذات المتأملة

إن الدخول عبر بوابة "السنايل" في التجربة الشعرية لدى علي النمر هو دخولٌ إلى قلب التجربة الإنسانية

ويحق اي أن أطلق عليه هذه التسمية (شاعر السنايل)